اليوم 102 للعدوان على فلسطين، من بوابة غزة والضفة

2024/1/16م

إضاءة

*لن يكون غريبا أن نسمع بعض المسؤولين الغربيين يتحدثون بأن بعض الدول العربية لا تريد وقف الحرب قبل تفكيك القوة العسكرية للمقاومة الفلسطينية المسلحة.

*الحكومة الإسرائيلية صرحت أن عمليات تهجير الفلسطينيين إلى خارج فلسطين المحتلة، هو ضمن رؤية الشرق الأوسط الجديد، وأن هناك دول عربية كانت تعمل على النقل الطوعي للفلسطينيين منذ صيف ٢٠١٨، حيث تم بناء مخيمات للاجئين وتوفير الخدمات الأساسية ومخصصات مالية لهم-خالد غنام.

دول عربية ومعاداة المقاومة الفلسطينية

خالد غنام

مركز الانطلاقة للدراسات
ALENTILAQAH RESEARCH CENTER (A.R.C)

دول عربية ومعاداة المقاومة الفلسطينية

بقلم خالد غنام[1]

الحرب على غزة مستمرة منذ أكثر من مائة يوم ، حرب شرسة بين أجساد الفلسطينيين ورصاص الاحتلال الإسرائيلي. في هذه الحرب تجلت أسمى آيات الصمود الفلسطيني والتمسك بالأرض، وقدرة المقاومة الفلسطينية المتواصلة على ضرب القوات الإسرائيلية الغازية، وهذا تسبب بكارثة انسانية كبرى، حيث تم قتل آلاف المدنيين وتدمير البيوت والمرافق العامة وقطع الكهرباء والماء عن كافة الفلسطينيين في قطاع غزة كجزء من سياسة العقاب الجماعي التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية.

في هذه الحرب -كما هي العادة- استخدمت الحكومة الإسرائيلية التبريرات المعتادة في شيطنة الفلسطينيين كافة، مستفيدة من عملها التراكمي في السيطرة على الرأي العام الغربي؛ حيث عملت على ترسيخ مفهوم الدولة الضحية حيث تعيش دولة غربية في وسط عربي يريد تدميرها، وهذا الأمر جعل كل الدول الغربية تدين بشدة أي اعتداء عسكري على الدولة العبرية، بل تعتبر مجرد التحريض على العنف ضد "إسرائيل" عمل إرهابي، لذا نجد أن كل التنظيمات المسلحة التي تقوم بمقاومة الاحتلال الإسرائيلي تصنف إرهابية بالدول الغربية، وهذا الأمر ليس حديثا بل أنه بدأ منذ حرب النكبة عام ١٩٤٨ والبعض يعتبره بدأ عام ١٩٢٩.

ان مسألة حق "إسرائيل" بالوجود وحقها بالدفاع عن نفسها وتجريم من يطلق رصاصة واحدة ضدها يعتبر الآن جزء من الثقافة الغربية السائدة في عالم السياسة والإعلام والثقافة والاقتصا.

ومهما تحدثنا عن تغير وجهة نظر الغربيين فهذا لا يمكن أن يصل إلى أكثر من ٣٪ من مجموع السياسيين وأقل من ٨٪ من مجمل الرأي العام الانتخابي، وبحدود ١٦٪ من مجمل الرأي العام المتابع لأخبار الشرق الأوسط.

لذا لا ننتظر من الدول الغربية أكثر من تقديم المساعدات الانسانية وفتح باب اللجوء الانساني المحدود والمشروط بنبذ العنف وعدم الارتباط بالتنظيمات المسلحة، مع تحسين ظروف الحكم الذاتي الإداري للسلطة الفلسطينية.

[1] كاتب فلسطيني مقيم في استراليا وعضو مؤسس في مركز الانطلاقة للدراسات.

هذه هي جبهة الاسناد للدولة العبرية، يضاف لها أصدقاء جدد في بعض الدول الآسيوية والافريقية ويتصدر هذه الدول بالحرب الحالية الهند وبعض الدول العربية، رغم أن هذه الدول كانت من الحلفاء الطبيعيين للفلسطينيين، هذا التغيير الجذري بمواقف هذه الدول بدا منذ انهيار الاتحاد السوفياتي وازداد بتوقيع معاهدة إتفاق المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الإسرائيلية عام ١٩٩٣.

إلا العديد من الباحثين يؤكدوا أن العلاقات السرية الإسرائيلية مع الدول الآسيوية والافريقية بدأت منذ منتصف الستينيات وأن العلاقات الإسرائيلية السرية مع بعض الدول العربية يعود لزمن حرب النكبة عام ١٩٤٨.

ان تبرير هذه العلاقات السرية بأن هناك مصالح مشتركة بين الطرفين وليس له علاقة مباشرة بالقضية الفلسطينية، مثلاً تبادل المعلومات الاستخباراتية وسوق السوداء للأسلحة والمخدرات والتقنيات المتطورة وغيرها من المجالات. كما أن الحكومة الإسرائيلية كانت تلعب دور الوسيط بين دول العالم الثالث والدول الكبرى من أجل عقد صفقات سرية.

وفي تطورات كثيرة حدثت بعد معاهدة السلام الابراهامية **(اتفاقيات ابراهام-ترامب)** وعروضات كوشنر نحو بناء شرق أوسط جديد وفقا لما يعرف بصفقة القرن، وتبني بعض الدول الخليجية لها، تمّ انتقال بعض الدول العربية من طرف الحلفاء الطبيعيين للفلسطينيين إلى شركاء إقليميين لإسرائيل وكل من يرغب بقبول صفقة القرن، وأن أي دولة أو منظمة ترفض هذه الاتفاقيات سوف يحارب بطرق مختلفة بهدف الوصول إلى تسوية سياسية شاملة بالشرق الأوسط ضمن سياسة صفر مشاكل في الشرق الأوسط وضمان أمن "إسرائيل".[2]

وفي أحدث التطورات التي شهدتها المنطقة قبل الحرب على قطاع غزة كانت الاتفاقيات التجارية بين دول الخليج والهند بخصوص تأمين طريق تجاري بين آسيا وأوروبا عبر دول الخليج. وهي كانت تمهيدا لعقد اتفاقيات سلام علنية مع إسرائيل. وهي ردة فعل الامريكية على مشروع طريق الحرير الجديد الذي تنفذه الصين لربط الصين بالعالم بعيدا عن النفوذ الأمريكي،

---

[2]نضع كلمة "إسرائيل" بين قوسين لأنهم لا يقولون فلسطين أبدًا لأنها تحمل معنى الأرض والوطن والتاريخ والشعب معًا، بل يستخدمون (المقصود يستخدم الإسرائيليون اجمعين) الكلمة منسوبة أي فلسطينيين فلسطينية...الخ-م إ د

وهذا المشروع تسبب بأضرار كثيرة لعدة دول خليجية وآسيوية كانت تعتمد على تجارة المناولة الدولية.

وفي بعدها العسكري فهي امتداد للحلف الأمريكي الآسيوي ضد الصين وهو يضم استراليا واليابان والهند والامارات و"إسرائيل".

وهذا الحلف يسعى تدريجيا إلى توسيع قاعدة النفوذ الأمريكي دون الحاجة إلى إرسال قوات عسكرية أمريكية بل استخدام قوات الدول الحليفة لمحاربة الصين وباقي محور الشر الذي يضم كوريا الشمالية والصين وإيران وروسيا.

هذا تمزق لولاءات الدول العربية والإسلامية ليس حديثا بل أنه يعود لزمن الحرب الباردة، لكن الجديد هو أن هناك من يعتبر أن المقاومة الفلسطينية تقف عقبة في وجه تطبيق اتفاقيات دولية تعتبر هامة جداً بالنسبة إلى الدول العربية المعنية. هذا رغم أن المقاومة الفلسطينية محصورة في النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي، ولا تشارك بأي فعل عسكري خارج حدود فلسطين التاريخية.

فقد كان يروج كوشنر لضرورة وجود تحالف عربي إسرائيلي ضد المحور الصيني الايراني الروسي، وكان هذا الطرح يتحدث عن أسطورة الجيش الإسرائيلي القادر على مواجهة محور الشر في الشرق الأوسط؛ لكن وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن بصيف ٢٠٢٣ كان يرى أن الجيش الإسرائيلي غير قادر على تنفيذ عمليات عسكرية واسعة النطاق، لذا طالب بوجود قوة عسكرية هندية كبيرة، وكذلك التعاقد مع شركات الأمن المسلحة الخاصة اي جيوش المرتزقة.

ورد مصطلح المقاومة الفلسطينية لأول مرة في صيف عام ١٩٣٧ في وصف الثورة كبرى - ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ رداً على محاولات إدارة الانتداب البريطاني في فلسطين على تفتيت المقاومة الفلسطينية، ولعبت على تناقضات الفلسطينيين الداخلية التي لم تكن تعمل وفق برنامج عمل مشترك، وكان هناك اختلافات كبيرة بعضها له بعد سياسي لكن الغالبية العظمى من الخلافات كانت مناطقية وعشائرية.

إلا أن العمود الفقري للمقاتلين كان يتبع للحاج أمين الحسيني أي تنظيم الجهاد المقدس، لكن الحاج أمين الحسيني كان يمول العمل العسكري لكل جماعة مسلحة وكذلك لأغلب الصحف المحلية واللجان الشعبية. وقد واجه الحاج أمين الحسيني اتهامات كثيرة بأنه يسعى لقلب النظام السياسي في عدة دول عربية، مما جعله مطاردا وأخذ يتنقل حتى وصل الأمر إلى حد أنه وصل إلى ألمانيا في زمن حكم النازيين.

تم إعادة استخدام مصطلح المقاومة الفلسطينية[3] من قبل الشهيد كمال عدوان في ربيع عام ١٩٧٠ في جريدة حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح التي كانت تصدر في مدينة عمان بالاردن، حيث كان يسعى لترسيخ مفهوم الوحدة الوطنية الفلسطينية ضمن برنامج وحدة البنادق الذي طرحته التنظيمات الفلسطينية بعد تبني شعارات نلتقي في أرض المعركة وكل البنادق تتجه نحو العدو

حيث أن التنافر السياسي بين التنظيمات الفلسطينية كان يقف أمام عملية الوحدة الوطنية الفلسطينية، ومن هنا جاءت وحدة المقاومة الفلسطينية المسلحة، وهذه الخطوة كانت السبب الرئيسي وراء مبادرة روجرز التي كانت تسعى لتحقيق وقف إطلاق النار وإنهاء حرب الاستنزاف التي بدأها الجيش المصري بعد حرب النكسة عام ١٩٦٧.

لذا فإن استخدام مصطلح المقاومة الفلسطينية[4] الآن ليس بالأمر الغريب، بل هو تعبير علمي لاحتضان المقاومة المسلحة من قبل الاغلبية الساحقة من الفلسطينيين، هذا الاحتضان يهدف لحماية المقاتلين واستمرار القتال حتى دحر الاحتلال من قطاع غزة بالوقت الحالي.

---

[3] في إطار انطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح عام 1965م، راج مصطلحين أولهما **الثورة الفلسطينية** فأصبحت انطلاقة الثورة الفلسطينية الحديثة تيمنًا بثورات العالم المعروفة بالخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، كما صعد أيضًا مصطلح **المقاومة الفلسطينية** استنادًا لاستخدامه من الشهيد كمال عدوان كما ذكر الكاتب، ومنسوبًا للأصل في فرنسا أثناء الحرب الاوربية (العالمية) الثانية، وفي تأصيل **لكلمة المقاومة رجوعًا ل"حرب الأنصار/الغوار"** نجد أنها أي حرب الانصار ذكرت لاول مرة في رواية الحرب والسلم ل**تولستوي** في إطار الشرح لغزو نابليون لروسيا (عام 1812م) . إن حرب الغوار، هي الثورة أو المقاومة أو الحرب التي طبقت في عديد الثورات في القرن العشرين (الروسية والصينية والكورية والجزائرية والكوبية والفيتنامية...)، ومع إدخالات وتنويعات تعاملت مع الواقع لكل ثورة، ومنها في الثورة الفلسطينية المنطلقة عام 1965 بقيادة حركة التحرير الوطني الفلسطيني- "فتح" والخالد ياسر عرفات، والمتواصلة حتى الآن بأنماط وأشكال إبداعية متطورة كما حصل بالاختراع الفلسطيني البحت أي المسمى **"الانتفاضة"** الأولى ثم الثانية. وما تلاها من حراكات و**"مقاومة شعبية"** لم يكن لها أن تتطور حسب المأمول، لتقاعس الكثيرين عن الإمساك بتلابيب المقوّمات المحققة للنصر عوضًا عن تشتت الجهود وتفرق القيادة-مركز الانطلاقة للدراسات

[4] **فكرة الثورة أو المقاومة تشمل كل المناحي:** الميدانية والعسكرية والاعلامية والفنية والثقافية الفكرية والسياسية والدبلوماسية وحرب الرواية والحرب القضائية، **والمقاومة الشعبية**

لكن الإعلام الغربي يقوم بالترويج لفكرة حرب "إسرائيل" على "حماس"، وإنهاء وجود الجماعات الإرهابية في قطاع غزة، كما أن بعض وسائل الإعلام العربية تروج لأفكار مقاربة مثل خطر الإرهاب الذي تقوده إيران، وأن "حماس" لها علاقات عسكرية مع أذرع عسكرية تابعة لإيران، وأن "حماس" لها أهداف عسكرية وأمنية كبيرة في بعض الدول العربية.

لذا فإن بعض الدول العربية لا ترى نفسها مضطرة للدفاع عن المقاومة الفلسطينية لأنها تعتبر انتصار المقاومة الفلسطينية هو ترسيخ للنفوذ الإيراني بالمنطقة وهذا ضد مصالح استراتيجية لعدة دول عربية. **من هنا لن يكون غريبا أن نسمع بعض المسؤولين الغربيين يتحدثون بأن بعض الدول العربية لا تريد وقف الحرب قبل تفكيك القوة العسكرية للمقاومة الفلسطينية المسلحة.**

كما أن الحكومة الإسرائيلية صرّحت بأن هناك شبكة اتصال استخباراتية إسرائيلية عربية لمواجهة إيران وأذرعها بالمنطقة بما فيها المقاومة الفلسطينية، وأن بعض عمليات "إسرائيل" الخارجية اعتمدت بشكل أساسي على معلومات من هذه الشبكة. حتى أن اختيار أشخاص بعينهم لتوزيع المساعدات الانسانية داخل قطاع غزة، والسماح لهم بالمتاجرة بها أو توزيعها بطرق غير نزيهة هو مطلب من دول عربية.

كما أن الحكومة الإسرائيلية صرّحت أن عمليات تهجير الفلسطينيين إلى خارج فلسطين المحتلة، هو ضمن رؤية الشرق الأوسط الجديد، وأن هناك دول عربية كانت تعمل على النقل الطوعي للفلسطينيين منذ صيف ٢٠١٨، حيث تم بناء مخيمات للاجئين وتوفير الخدمات الأساسية ومخصصات مالية لهم.

في إعلام بعض الدول العربية نجد أن هناك ترويج لفكرة الانهيار الشامل لقطاع غزة وأنه بات منطقة لا تصلح للعيش، وأن إغلاق الحدود لقطاع غزة، يهدف للحفاظ على وجود الفلسطينيين

اوالجماهيرية، وكلها تخضع للخيار القيادي وتتكامل لتحقيق الهدف. ومن المعلوم أنه **وقف أمام الصهيوني هدفين الاول اكتساب البراءة العالمية (الاعتراف) وهو فعل سياسي دبلوماسي إعلامي صهيوني لا ينقطع، وامتلاك القوة العسكرية والاقتصادية والتقانية.** إذن حصل لدى الصهيوني تكامل بين الشيئين. وإن اولت الحركة الصهيونية في عملها الاولى (البراءة) على الثانية. ثم عاش الكيان حتى اليوم بهما معًا-مركز الانطلاقة للدراسات.

على أرضهم، لكن تدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية قد يجعل بعض الدول العربية تساهم في نقل الفلسطينيين إلى مخيمات اللجوء خارج حدود فلسطين التاريخية لإنقاذهم من خطر المجاعة أو الموت من الأوبئة، بينما ترفض إسرائيل ذلك وتريد معاقبة كل الفلسطينيين الذين يؤيدون المقاومة الفلسطينية.

في الواقع فإن الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال يعرفون أن المواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي[5] يعتبر عملا مبرراً بغض النظر عن الهدف السياسي وراء ذلك.
فقد اتهمت قوات أمين الحسيني بأنها نازية واتهمت قوات ياسرعرفات بأنها سوفيتية، فليس غريبا أن يتم إتهام الفلسطينيين بأنهم إرهابيون من الدول الغربية لكن الجديد أن يتم إتهام بعض الدول العربية للفلسطينيين بأنهم إرهابيون، وليست تهمة الارهاب مقصورة على "حماس" بل كل الفصائل الفلسطينية، بما فيها حركة "فتح" حتى تلك التي تمارس النضال السلمي اللا عنفي، وكذلك الخلايا العسكرية المشتركة مثل عرين الأسود وكتيبة جنين وغيرها.

فكل من يعادي "إسرائيل" هو يعادي تلك الدول العربية وأن كل فعل أو قول أو تحريض ضد "إسرائيل" هو معادي لتلك الدول العربية ويضعف قدرتها على مواجهة محور الشر وخاصة إيران وأذرعها. مما يفقد الفلسطينيون على تحقيق أي هدف سياسي من هذه الحرب/العدوان.

[5] كل القوانين الدولية والمعاهدات...الخ، تتيح للبلد أو الاقليم الواقع تحت الاحتلال أن يقاوم الطرف المحتل (القائم بالاحتلال)، ما هو بالحقيقة إحقاقًا للحق والعدالة، ولفلسطين حق تقرير المصير الذي كفلته الامم المتحدة بعديد القرارات، وضمن لجنة فلسطين وحقوقها الثابتة غير القابلة للتصرف وتقرير المصير-مركز الانطلاقة للدراسات

الكاتب خالد غنام متحدثًا في جلسة فلسطين في المؤتمر الوطني الثامن عشر للتحالف الاشتراكي الأسترالي 11-13 يناير 2024. مدينة جيلونج – ولاية فيكتوريا.

تابعونا على منصة **اكاديمية فتح الفكرية** وأضيفوا أصدقائكم https://t.me/fatahacad